الآثار التربوية للعمل التطوعي
على الفرد وا لمجتمع

بحث مقدم من:

د/ حمود بن جابر الحارثي

كلية الدعوة و أصول الدين – جامعة أم القرى

ندوة العمل التطوعي وآفاق المستقبل

المنعقدة في جامعة أم القرى

٢٨-١٤٣٣/١٠/٢٩هـ

مكـــــة المكرمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

• مقدمـــة:

إن الحمد لله، نحمده، و نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه و سلم و على آله و صحبه وسلم. و بعد:

فإن كل جهد يقوم به الإنسان من غير إلزام من الشارع أو إلزام من الغير مقابل أجر فهو عمل تطوعي. و تختلف الدوافع من شخص لآخر، فمن كان دافعه طلب الأجر من الله، و ما تمليه إنسانيته فهو العمل التطوعي المبارك، و من كان دافعه الرياء و السمعة و طلب الشهرة فنتائج عمله ممحوقة البركة. و معنى العمل التطوعي و حقيقته مجموع في قول الرسول ﷺ: " مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ "[1].

و هذه الورقة تتحدث عن **الآثار التربوية للعمل التطوعي على الفرد و المجتمع**. وستؤصل هذه الورقة ـ إن شاء الله ـ للعمل التطوعي و آثاره على الفرد و المجتمع تأصيلاً علمياً، مع أمثلة واقعية على ذلك بما يضفي على الورقة الجدية و الواقعية في الطرح.

---

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين و الحمة، رقم ٤٠٧٦.

و ستجيب الورقة بإذن الله تعالى على التساؤلات التالية:

- هل للعمل التطوعي أصل في الإسلام ؟.
- ما آثار العمل التطوعي التربوية على المتطوع نفسه ؟.
- ما آثار العمل التطوعي التربوية على الفرد ؟.
- ما آثار العمل التطوعي التربوية على المجتمع ؟.
- ما التجارب الواقعية للعمل التطوعي و أثره في تعزيز البعد التربوي لدى ذوي السلوكيات الخاطئة ؟.

ثم نتيجة الورقة و توصياتها.

• أولاً: آثار العمل التطوعي التربوية على المتطوع نفسه.

للعمل التطوعي آثار كثيرة نشير إلى بعض منها بشيء من الاختصار على النحو الآتي:

١ - زيادة الإيمان. فقد عد النبي ﷺ العمل التطوعي من شعب الإيمان عندما قال ﷺ: " الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ "[1]. فإن هذا الحديث يحمل تربية إيمانية عملية رُبطت بمرتبة الدين العظمى وهي الإيمان.

٢ - حصول محبة الله، كما قال ﷺ: " أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان و أفضلها و أدناها، رقم ٥١.

للناس و أحب الأعمال إلى الله ﷻ سرور يدخله على مسلم أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً و لأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، (يعني مسجد المدينة) شهرًا، و من كف غضبه ستر الله عورته، و من كظم غيظه و لو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، و من مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، و إن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل" [1].

٣ ـ أن صاحب العمل التطوعي معدود من الذين يحبهم الرسول ﷺ، و يحبهم الناس كما في قصة المرأة التي تقم المسجد، " فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ كَانَتْ سَوْدَاءُ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ، فَتُوُفِّيَتْ لَيْلًا فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ أُخْبِرَ بِمَوْتِهَا، فَقَالَ: أَلَا آذَنْتُمُونِي بِهَا، فَخَرَجَ بِأَصْحَابِهِ فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا فَكَبَّرَ عَلَيْهَا وَالنَّاسُ خَلْفَهُ وَدَعَا لَهَا ثُمَّ انْصَرَفَ " [2]. وما سؤال النبي ﷺ عنها، ثم خروجه للصلاة على قبرها إلا لبَيَان مكانة هذه المرأة السوداء، و عظمة العمل التطوعي الذي تقوم به وهو تنظيف المسجد.

٤ ـ تعزيز صفة التواضع وكسر حاجز الكبر و الغرور في النفس.

فإن كبرياء النفس و غرورها إذا أُرغمت على فعل الأعمال

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ٢/ ٦٠٨، رقم ٩٠٦.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على القبر، رقم ١٥٢٢. و هو عند مسلم برقم ١٥٨٨

التطوعية، انكسر غرورها، و تلذذت بمساعدة الناس و تواضعت. ومثالها من سيرة أمير المؤمنين عمر ﷺ أنه كان يطلي إبل الصدقة، فجاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنا أطلي عنك الإبل، فقال عمر: أأنت تحمل عني ذنوبي يوم القيامة ؟ ! [1].

٥ ـ أن العمل التطوعي يورث للمتطوع تفريج الكربات وإزالة الهموم و الغموم و الضيق والخوف: ففي الحديث " أن الرسول ﷺ عندما جاءه جبريل عليه السلام بالوحي رجع يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ " [2]. إنها أعمال جليلة بها تُفرج الكرب و تُستجلب رحمة الله و توفيقه لعبده، و أنعم به من أثر عظيم للعمل التطوعي.

٦ ـ تنمية مبدأ الاعتزاز بمبادىء الإسلام:

من مبادئنا الثابتة مساعدة الضعيف و نصرة المظلوم و الإعانة على نوائب الدهر وبها نتميز و نعتز. فمبادئنا تهتم في أولوياتها بالجوهر و ما يحمله من مباديء و قيم. وهذا موقف آخر من مواقف أمير المؤمنين عمر

(١) انظر: موسوعة البحوث و المقالات الإسلامية، علي بن نايف الشحود، ص ٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم ٣.

بن الخطاب ﷺ يبين لنا أهمية الاهتمام بالمبادىء التي بها عزنا. فقد ذهب بثوبه المرقّع لفتح بيت المقدس وقال له بعضهم: لو لبست يا أمير المؤمنين لباساً جميلاً إعزازاً للإسلام، فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله [1].

٧ ـ معرفة الواقع الاجتماعي.

أن العمل التطوعي يعتبر شاهداً حقيقياً على معرفة واقع المجتمع أخلاقياً و اجتماعياً واقتصادياً و هذا يؤدي إلى الإحساس و الشعور بحاجات المجتمع و قضائها من جانب، و من جانب آخر فإنه يتيح للفرد التعرف عن كثب على مجتمعه و قضاياه، والتعرف على أناس يختلفون عنه في السن والقدرات والخبرات فيُفيد من ذلك، و يُنمي قدراته، يعزز ثقته بنفسه.

و لنا عبرة في سيرة الخليفتين الراشدين أبي بكر و عمر ﷺ، و كيف كانا يكتشفان أحوال المجتمع من خلال الأعمال التطوعية التي يقومان بها.

ذهب عمر ﷺ مرة خلف أبي بكر الصديق ﷺ ودخل أبو بكر ﷺ خيمة امرأة مع أطفالها فاختفى عمر ﷺ وانتظر حتى خرج أبو بكر ﷺ ثم دخل على المرأة فسألها عن حالها، فقالت: أنا امرأة حسيرة كسيرة ومعي

(١) انظر: البداية و النهاية، ابن كثير، ٧/ ٧٠.

عيال وليس لنا عائل إلا الله. فقال عمر ﷺ: وماذا يصنع هذا الشيخ الذي يدخل عليكم ؟ قالت: يصنع طعامنا ويكنس بيتنا ويحلب شياهنا ويغسل ثيابنا. فجلس عمر يبكي ويقول: أتعبت الخلفاء بعدك يا أبا بكر. وحينما تولى الخلافة بعد أبي بكر ﷺ سعى لأن يحقق تلك المُثُل العليا التي كان عليها أبو بكر ﷺ، فها هو يمر بحدث مماثل حينما خرج ذات ليلة إلى الحرة في المدينة ومعه مولاه أسلم فإذا نار تسعر فقال: يا أسلم ما أظن هؤلاء إلا ركباً كثر بهم الليل والبرق. فلما وصل إلى مكانها إذا هي امرأة معها صبيان يتضاغون من الجوع قد نصبت لهم قدر ماء على النار تثبتهم به لينام فقال عمر ﷺ: السلام عليكم يا أهل الضوء، وكره أن يقول يا أهل النار، ما بالكم وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت المرأة يتضاغون من الجوع. قال: فأي شئ في هذا القدر ؟ قالت: ماء أثبتهم به وأوهمهم أني أصنع طعاماً حتى يناموا والله بيننا وبين عمر. فقال عمر ﷺ: يرحمك الله وما يدري عمر بكم ؟ قالت: أيتولى أمرنا ويغفل عنا. فبكى عمر ﷺ ورجع مهرولاً فأتى بدقيق وجراب شحم وقال: لأسلم أحمله على ظهري قال: أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين قال: أنت تحمل وزري عني يوم القيامة. فحمله ﷺ حتى أتى المرأة فجعل يصلح الطعام لها وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل من لحيته ﷺ حتى نضج الطعام فأنزل القدر وأفرغ منه في صحفة لها فأكل الصبية حتى شبعوا وجعلوا يضحكون ويتصارعون فقالت المرأة: جزاك الله خيراً أنت أولى بهذا الأمر من عمر (تعني أمر الخلافة) فقال لها عمر ﷺ: قولي خيراً. و

مر أيضاً بامرأة في خيمة وقد ولدت طفلاً وعندها أطفال غيره قد مات أبوهم، فذهب إلى بيت المال وأحضر دقيقاً وزيتاً وأوقد لهم النار وصنع لهم العشاء وقدمه، فقالت المرأة: والله إنك خيرٌ من عمر بن الخطاب. وقرأ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[1]، فبكى وقال: ما بقي لنا شيء ومن بقي له شيء فليطلبه [2]. هذه نتيجة من نتائج العمل التطوعي وهي اكتشاف واقع المجتمع، و حاجاته، فجديرٌ بنا جميعاً أن نتلمس حاجات المحتاجين ونقضيها لهم على قدر استطاعتنا، و نشارك في الأعمال التطوعية المختلفة، و نقدم من خلال الأعمال التطوعية الدراسات والبحوث الميدانية الاستشرافية.

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٤.

(٢) انظر: موسوعة البحوث و المقالات الإسلامية، علي بن نايف الشحود، ص ٥. و أخبار عمر، الطنطاوي.

- **ثانياً: آثار العمل التطوعي التربوية على المجتمع.**

أما على المستوى الاجتماعي فهذه بعض آثار العمل التطوعي:

١ ـ العمل التطوعي ينمي لدى الإنسان الشعور الاجتماعي و القدرة على التفاعل و التواصل مع الآخرين، و يحد من الميل إلى الوحدة و الفردية و العزلة و ما يترتب عليها من أضرار على المجتمع. و بالتواصل و التفاعل و نبذ الفردية يتحقق مقصد التواد و التراحم و الشعور بالجسد الواحد لدى المجتمع و من ثَمّ الأمة بأسرها، كما حث على ذلك رَسُولُ الله ﷺ في قوله: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ "[(١)].

قال النووي رحمه الله: هذا صَرِيح فِي تَعْظِيم حُقُوق الْمُسْلِمِينَ بَعْضهمْ عَلَى بَعْض، وَحَثّهمْ عَلَى التَّرَاحُم وَالْمُلَاطَفَة وَالتَّعَاضُد فِي غَيْر إِثْم وَلَا مَكْرُوه [(٢)].

٢ ـ أن العمل التطوعي يساهم في جعل المجتمع أكثر أمناً و اطمئناناً و ثقة بأبنائه:

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر و الصلة و الآداب، باب تراحم المؤمنين و تعاطفهم، رقم ٤٦٨٥،

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ٣٩٤.

فإذا حُبب لأفراد المجتمع و خاصة الشباب الأعمال التطوعية، و مارسوها من خلال الأعمال و الأنشطة التربوية المدرسية، غُرست في دمائهم الأخلاق الفاضلة، و أمِن بقية أفراد المجتمع من سلوكياتهم الخاطئة. و هنا تتأكد مسؤولية المؤسسات و المحاضن التربوية باختلافها، و لنتأمل هذا الحديث و كيف كان يربي النبي ﷺ أصحابه على الأعمال التطوعية بمجرد ملاحظة الحاجة إليها، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ. قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ "[1].

قال النووي رحمه الله فِي هَذَا الْحَدِيث: الْحَثّ عَلَى الصَّدَقَة وَالْجُود وَالْمُوَاسَاة وَالْإِحْسَان إِلَى الرُّفْقَة وَالْأَصْحَاب، وَالِاعْتِنَاء بِمَصَالِح الْأَصْحَاب، وَأَمْر كَبِير الْقَوْم أَصْحَابه بِمُوَاسَاة الْمُحْتَاج، وَأَنَّهُ يُكْتَفَى فِي حَاجَة الْمُحْتَاج بِتَعَرُّضِهِ لِلْعَطَاءِ، وَتَعْرِيضه مِنْ غَيْر سُؤَال، وَهَذَا مَعْنَى قَوْله (فَجَعَلَ يَصْرِف بَصَره) أَيْ: مُتَعَرِّضًا لِشَيْءٍ يَدْفَع بِهِ حَاجَته. وَفِيهِ: مُوَاسَاة اِبْن السَّبِيل، وَالصَّدَقَة عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا، وَإِنْ كَانَ لَهُ رَاحِلَة، وَعَلَيْهِ ثِيَاب، أَوْ كَانَ مُوسِرًا فِي وَطَنه، وَهَذَا يُعْطَى مِنْ الزَّكَاة

(١) رواه مسلم، كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضل المال، رقم ٣٢٥٨.

فِي هَذِهِ الْحَال. وَاللهُ أَعْلَم [1].

٣ ـ أن الأعمال التطوعية تقضي على الشعور باليأس والإحباط لدى المجتمع.

فإن أفراد المجتمع و خاصة ذوي الحاجات إذا رأوا اهتمام أبناء المجتمع بهم من جانب، و اهتمت طبقات المجتمع بعضهم ببعض من جانب آخر، و رأت طبقات المجتمع صور التعاون و التراحم ابتعد عنهم الشعور باليأس و الإحباط لوجود هذه الفضيلة و تشرب المجتمع بها، و تصبح القيمة الأساسية للمجتمع في التواصل و البر والرضا بقدر الله.

٤ ـ أن الأعمال التطوعية تساهم في تحقيق الأمن الاجتماعي و ما يترتب عليه من رقي مدني، و تحسين المستوى الاقتصادي، و تحقيق الاكتفاء الذاتي من أبناء المجتمع في مجالات الحياة المختلفة، قال الرسول ﷺ: " إنه من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من خير الدنيا و الآخرة و صلة الرحم و حسن الخلق و حسن الجوار يعمران الديار و يزيدان في الأعمار " [2].

٥ ـ أن الأعمال التطوعية فرصة لتعلم مهارات جديدة، أو تحسين و تطوير ما هو متوافر من مهارات، فهو بمثابة مدرسة تدريبية اجتماعية يُكتشف من خلالها المواهب و القدرات لدى الأفراد، بما يؤهلهم ليكونوا

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ١٦٦.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ٢/ ٣٤، رقم ٥١٩.

سواعد صالحة في المجتمع. يؤيد ذلك ما ورد في الحديث

" عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِالله، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: أَعْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا. قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ ! قَالَ: تُعِينُ ضَائِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ ! قَالَ: تَدَعُ النَّاسَ مِنْ الشَّرِّ. فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ " [1]. فإن إرشاد الضائع عمل تطوعي نبيل، أو الصناعة لمن لم يستطيع الصناعة و هو الأخرق الذي لا يجيد العمل أو الصنعة.

٦ ـ استثمار أوقات الفراغ و إشغالها بالمفيد النافع الذي يستثمر الطاقة التي إن لم تُشغل قد تضر المجتمع، و من أنفع الأمور العمل على خدمة المجتمع الذي ينتمي إليه، و الأعمال التطوعية أعمال صالحة حث عليها الإسلام، فمشاركة أبناء المجتمع فيها يساعد على استثمار أوقات الفراغ المهدرة في غيرها، و استثمار طاقات الشباب فيما ينفعهم و ينفع مجتمعهم. و لذلك قال في الحديث السابق: " تُعِينُ ضَائِعاً، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ. قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ ! قَالَ: تَدَعُ النَّاسَ مِنْ الشَّرِّ. فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ ". و في قوله ﷺ عندما قيل له: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ ! قَالَ: تَدَعُ النَّاسَ مِنْ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ. و كأنه يشير إلى أن تلك الأعمال سبب ينشغل بها الفرد ليدع الناس من شره.

---

(١) رواه البخاري، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، رقم ٢٣٣٤.

٧ ـ أن العمل التطوعي ينمي حس الانتماء الوطني الفطري لدى المجتمع. و ذلك من خلال شعور المجتمع بالترابط و التراحم و التواصل و ما يترتب عليه من تآلف بين أفراد المجتمع، و من ثَمّ حُسن انتماء للمجتمع و الوطن الذي عاش على أرضه، و تواصل مع أهله. فهذا بلال ﷺ يتغنى في وطنه مكة، و يسمعه الرسول ﷺ، و يتأثر بذلك فيقول: اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ. ففي الحديث " عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ .:. وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ يَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً .:. بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ .:. وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَ: اللهُمَّ الْعَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ. قَالَتْ: وَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ الله قَالَتْ: فَكَانَ بُطْحَانُ يَجْرِي نَجْلًا تَعْنِي مَاءً آجِنًا"[1].

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، رقم ١٧٥٦.

- **ثالثاً: التجارب الواقعية التي تبين أثر العمل التطوعي في تعزيز البعد التربوي لدى ذوي السلوكيات الخاطئة.**

من خلال العمل التطوعي المباشر و المشاركة و الإشراف الذي قمت به في بعض مؤسسات البر الخيرية، و لجان التنمية الاجتماعية التي تشرف عليها وزارة الشؤون الاجتماعية، و بعض مؤسسات العمل الخيري الأخرى مثل جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، و المكاتب التعاونية للدعوة و الإرشاد و توعية الجاليات، و الأمانة العامة لتوعية الحجاج و المعتمرين التي تشرف عليها وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف، والمشاركة في أعمال الحج التطوعية المختلفة رأينا رأي العين أن مشاركة أصحاب بعض السلوكيات الخاطئة في هذه الأعمال التطوعية ساعدت في تصحيح سلوكياتهم الخاطئة، و إحساسهم بالمسؤولية،و نقلهم من الكسل إلى الجد، و من الخطأ إلى الصواب، و من العدوانية إلى الألفة، و من القسوة و الغلظة إلى اللين و الرفق و العطف. و يمكن أن نجمل ذلك في النقاط التالية:

١ ـ أن العمل التطوعي يخفف لدى المتطوع نفسه من السلوك العدائي و النظرة العدائية أو التشاؤمية تجاه الآخرين من أبناء المجتمع، و ينمي حس الأمل و التفاؤل لديه.

٢ ـ أن الأعمال التطوعية تُهذب شخصية الإنسان، و تُزيح عنها صفة الشح والبخل، و تنقلها إلى البذل و الفلاح كما في وصف الله

للأنصار الذين آثروا أخوانهم من المهاجرين على الأنفس و الأهل و الولد مع الحاجة و الفقر الموجودة فيهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]، فإن الفلاح يتحقق فيمن انتصر على صفة الشح كما في هذه الآية، و كما في الآية الأخرى في قوله: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2].

٣ ـ أن الأعمال الإنسانية التطوعية التي لا تنتظر أجراً من الناس، يتحقق فيها الإخلاص، و يندفع فيها سلوك الرياء. و يُعتبر العمل التطوعي مثالاً حياً واقعياً لعلاج سلوك الرياء، لأنه التزام أدبي يخصص فيه المتطوع بعض وقته و جهده بدون مقابل، كما أنه تنافس شريف من أجل خدمة أهداف إنسانية في المجتمع دافعها الإحساس بالمسؤولية تجاه مجتمعه و من حوله.

٤ ـ أن الانشغال بالأعمال التطوعية يستثمر طاقات الشباب، و يوجه السلوكيات الخاطئة التي يقعون فيها، و يستثمر قدراتهم فيما هو نافع مفيد. وهذا توجيه نبوي كريم، يوجه الذين يعتادون جلوس الطرقات

(١) سورة الحشر، الآية ٩.

(٢) سورة التغابن، الآية ١٦.

أن ينشغلوا بأمر تطوعي في نفس الطرقات يستوعب طاقاتهم، و ينفع مجتمعاتهم كما في الحديث: " عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا. فَقَالَ: إِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ. قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ، عَنِ الْمُنْكَرِ " [1]. و عد إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان كما في حديث سابق. و في آخر عد إماطة الأذى عن الطريق صدقة، و عنون لهذا الحديث كثير من المحدثين بقولهم: باب ما جاء في إماطة الأذى عن الطريق، كما في الحديث: " عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: بينما رجل يمشي في طريق إذ وجد غصن شوك فأخره فشكر الله له فغفر له " [2].

و في الواقع التطوعي المعاصر رأينا الكثير من الشباب الذين استُغلت طاقاتهم في الأعمال التطوعية فأجادوا فيها، و استقامت كثير من سلوكياتهم الخاطئة، و أصبحوا لبنات صالحة عاملة في المجتمع.

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم ٦٢٢٩.

(٢) رواه الترمذي، باب إماطة الأذى عن الطريق، ٣/ ٣٤٠، رقم ١٩٥٨، و قال هذا حديث حسن صحيح، و صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

ملخص نتيجة الورقة و توصياتها:

١ ـ أن العمل التطوعي لم يكن بدعاً في المجتمع المسلم المعاصر و إنما هو قديم قِدم الإسلام دعا إليه منذ بزوغ فجره، و حث عليه نبي الإسلام ﷺ و أمر به، و ترجمه صحابة النبي ﷺ ترجمة عملية في واقعهم.

٢ ـ أن العمل التطوعي وسيلة تربوية عملية ينبغي على المؤسسات التربوية و الإصلاحية تفعيلها و الاستفادة منها.

٣ ـ أن العمل التطوعي يُعد من أهم وسائل اكتشاف الواقع الاجتماعي الحقيقي للمجتمع و هو ما ينبغي أن تهتم به المؤسسات المجتمعية الرسمية و التطوعية، وكذلك المؤسسات البحثية لتقديم الدراسات الميدانية التي تُبنى عليها الخطط التنموية في جميع جوانب الحياة.

٤ ـ أنه يجب على المؤسسات التعليمية و التربوية و المجتمعية و الخيرية في المملكة العربية السعودية تشجيع و تأصيل العمل التطوعي في نفوس أبناء المجتمع للإفادة من ذلك في خدمة ضيوف الرحمن من الحجاج و المعتمرين و الزوار.

هذا ما يسر الله جمعه في هذه الورقة المختصرة بطبيعتها لما يفرضه واقع الأوراق العلمية، و إلا فالبحث في هذا الموضوع يحتاج إلى زيادة بحث ليحاط به من جميع جوانبه، و لعله يكون مفتاح أبحاث أخرى تستنبطها أفكار القراء و المشاركون في الندوة.

وما كان فيه من صواب فهو من الله و له الحمد في الأولى و الآخرة، و ما كان فيه من خطأ فهو مني و أسأل الله العفو و الغفران. و الله تعالى أعلم. و صلى الله و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم.

إعـــــداد

الدكتور: حمود بن جابر بن مبارك الحارثي

كلية الدعوة، أصول الدين

جامعة أم القرى